

العبودية ومعية ا



«العبودية هي أرقى مراتب القُرْب من ا تعالدي؛ لأنك تأتي إلى ا طائعا، مُنفِذاً للمنهج باختيارك. ولقد عُرِضَ على رسول ا (ص) أن يكون مَلَكاً رسولاً، أو عبداً رسولاً فاختار أن يكون عبداً رسولاً.

فمصدر الشرف للإنسان أن يُحْسِنَ ويشعر بتجلّي ا عليه بعبوديته له؛ لأنّ "العبودية" عطاء عُلوّيّ من ا.

والإيمان كلّهُ عزة، والناس تكره كلمة "عبودية"؛ لأنّ عبودية البشر للبشر فيها ذلّة، وفيها أنّ السيد يأخذ خير عبده.

أما العبودية ا فنجد أنّ العبد يأخذ خَيْرَ سيده؛ ولذلك نجد ا سبحانه وتعالى قد امتنّ على نبيه بصفة العبودية، فقال:

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ... (الإسراء / 1).

فقد أخلص (ص) العبودية ا، فأخذ من فيوضات الحقّ بما يناسب عبوديته.

والحقّ سبحانه يوضح لكلّ عبد:

نَمْ مِلاءَ جَفْنِيكَ، فأنا لا تأخذني سِنَةٌ ولا نوم، وأنا قيوم، وإن احتجت مني إلى شيء ما، فادْعُنِي، وسأمدّ لك يد العَوْن بما يناسبك.

إنك إن كِدَّ رَّبُّ الحقِّ سبحانه وتعالى أعزَّتْ نفسك، فسجودك وعبوديتك لواحد عافاك من أن تسجد للألوف الأقوياء في الأرض.

واعلم أنك إن التجأتَ إليه سبحانه، وكنت في معيته، كنت أكبر من غيرك، ولا يستطيع أحد أن ينالك بسوء؛ لأنك في معية الله، ومَن كان الله معه فلا يحزن.

ولكن الذي يشرُّدُ من معية الله هو الذي يتعب.

فالحقُّ سبحانه يريد منَّا أن نخلص النية في الالتحام بمعية الله تعالى، ليُضفي علينا ربنا سبحانه من صفات جلاله وصفات جماله.

والحقُّ سبحانه يطلب منك أن تواجه الحياة في معية الله، فأنت لو واجهت المشكلات في معية من تثق في قوته تواجه الأمور بشجاعة، فما بالك إذا كنتَ في معية الله، وكلُّ شيء في الوجود خاضعٌ له، أيجرؤ شيء أن يقف أمامك وأنت مع الله؟

الله تعالى يقول: (إِنَّ سَعَى اللَّائِيهَةِ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة / 153).

وما دام الله مع الصابرين فلا بدَّ أن نعشق الصبر.

وكيف لا نعشق ما يجعل الله معنا؟

والعبادة كلها طاعة تتمثل في تطبيق ما جاء به المنهج من "إفعل" و"لا تفعل"، وقد يتدخل المنهج في حريتك قليلاً، وأنت بقوة الإيمان تعتبر أن هذا التدخل في هذه الحرية نعمة يجب أن تحمد الله عليها؛ لأنَّه لو تركك على هواك، فستفشل.

إذن: الأوامر والنواهي هنا نعمة، يجب أن نحمد ربنا عليها، وكلُّ ما يُجرِّيه الله على العبد المؤمن يجب أن يأخذه العبد على أساس أنَّهُ نعمة.

فحين تعرف أنَّ العبادة أوصلتك إلى أمر ثقيل على نفسك، فاعرف أنَّ هذا لمصلحتك، وعليك أن تحمد الله عليه، وبذلك يدخل المؤمن في زُمرَ الحامدين.

وأنت حين تؤمن بالله، يصبح الله في بالك، فلا يشغلك شيء عنه سبحانه.

فالعبادة خضوع لله سبحانه وتعالى بمنهجه "إفعل" و"لا تفعل"، ولذلك جعل الصلاة أساس العبادة، والسجود هو منتهى الخضوع لله؛ لأنك تأتي بوجهك الذي هو أكرم شيء فيك وتضعه على الأرض عند موضع القدم.

فيكون هذا هو مُنْتَهَى الخضوع لله، ويتم هذا أمام الناس جميعاً في الصلاة؛ لإعلان خضوعك لله أمام البشر جميعاً.

الصلاة هي إدامة ولاء العبودية للحقِّ تبارك وتعالى، وهي أيضاً استحضارُ العبدِ وقفته بين يدي ربه.

فالله سبحانه يريد منَّا الولاء دائماً، فإذا كنت تعتز بالله فأنت تُديم الولاء له باستمرار الصلاة، وأنت حين تسجد لله وتنزل له، فإنَّه سبحانه يزيدك عزةً ويكون معك دائماً، ويَقِيكَ ذُلَّ الدنيا. ►